البعد الدلالي للزواج في المثل الشعبي الجزائري بمنطقة الونشريس

Semantic dimension of marriage In the Algerian proverb In the area of the Winchris

د. محمود فتوح
جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف(الجزائر)
Mahmoud.fettouh@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/09/29 تاريخ المراجعة:2019/11/30 تاريخ النشر: 2019/12/31

الملخص:

لقد حظيت المرأة بمكانة مميزة في الجتمع الجزائري، لأنها تعدّ المحور الأساسي في الحياة الإجتماعية، وإن هذا المقال جاء ليعالج قضية الزواج في المثل الشعبي بمنطقة الونشريس، بداية من تحديد مفهوم المثل الشعبي ومميزاته، ثم سرد الأمثال المتعلقة بالزواج منذ اختيار المراة ثم مرحلة الخطبة، ويأتي بعدها مرحلة العرس وتكاليفها، إلى أن يصبحا معا في عائلة تحت سقف واحدة.

الكلمات المفتاحية: الزواج ; المثل الشعبي ;الونشريس ; الجزائر ;الدلالة;

***ABSTRACT** : Women have enjoyed In a special position In Algerian society, Because it is the main axis In social life, And this article Came to address the issue of marriage In the popular proverb In the place of the Winchris, The beginning of identification The concept of popular ideals and its features, Then count the proverbs related to marriage Since the choice of women Then comes the sermon, Then comes the wedding and its costs, To be in the same family.*
***Keywords:** Marriage ; Folk Proverb ; wanchariss ; Alegria ;sémantique;*

مقدمة:

يعدّ المثل الشعبي شكل من أشكال الأدب الشعبي، وموروث ثقافي وذاكرة حية للأجيال باعتباره من أكثر الأشكال التعبيرية الأدبية الشعبية انتشارا وشيوعا بين الأفراد داخل المجتمع الواحد، فهو مرآة عاكسة لمشاعر الشعوب، ولا يمكن الاستغناء عنه في أية أمة من الأمم، وتعدّ بيئة الجزائر على اختلاف عادات وتقاليد مجتمعها من بين الأمم التي اهتمت بالمثل الشعبي، لأنه يحظى باهتمام واسع بين الأفراد ويجري كثيرا على اللسان مجرى الدهان لما يحمله في طياته من دلالات موحية تعبر عن حياة الانسان وتجاربه اليومية بعبارات موجزة ومسجوعة تلخص الأحداث والقصص بأسلوب بليغ يستهدف من خلالها حفظ التجارب بالحكمة والموعظة بمعنى صائب، وإن من أسباب بقاء الأمثال وتداولها على الألسن إلى يومنا هذا هو "إيقاعها الناتج عن قصرها وإيجازها، فسهل الحفظ وبقيت الأفواه تتناقل الأمثال، والتي هي نتاج طبقة شعبية لها نمطها المعيشي وطريقة تفكيرها"[1].

وإن من خصائص المثل الشعبي أنه "يتجنب أسلوب الوعظ والتوجيه وينصب على المعنى بدون محاولة التحذير من العواقب والنتائج التي توخاها القصاص الشعبي، ذلك أن القصاص يطرح قضايا اجتماعية قد

نختلف في واقعيتها أو عدم واقعيتها، ولكنها تأخذ صورة القضايا الاجتماعية ولو شكليا، ...وبالتالي فهو يركز بصورة واضحة على السلوك الانساني عندما يواجه الإنسان موقفا ما"[2].

وتكمن أهميته في حياة البشرية أنه يؤثر "في العلاقات الاجتماعية وألصق بحياة الناس، حتى الوقت الحاضر، ومرد هذه الظاهرة في اعتقادنا أن لمثل الشعبي لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحلية معينة، مثل القصة الشعبية، وإنما يركز على السلوك الانساني في ظروف وحالات متغيرة، سواء كان السلوك فرديا أو جماعيا، وارتباط المثل بالسلوك يعني الاهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص والجماعة، ذلك أن ميول الناس ورغباتهم باقية ومستمرة، وإن تكيفت للظروف الاجتماعية، وتعدلت حسب المواقف التي يوجد فيها الفرد أو الجماعة، والعكس واضح في القصص والشعر معا"[3].

ويعدّ موضوع المرأة من المواضيع الاجتماعية التي حظيت باهتمام واسع من الكُتَّاب الجزائريين في المثل الشعبي، لأنها تعدّ المحور الأساسي في الحياة الاجتماعية، فقد عالجوا قضاياها وشؤونها، فقال عنها لخضر حليتيم:" فالأمثال الشعبية تعتبر أدبا حيا بفضل تداولها بين الرجال والنساء، وبرغم التطور الثقافي والاجتماعي، وبرغم وسائل الإعلام والاتصال الحديثة التي عمت كل المنازل وتناولت كل المجالات فما زالت الأمثال ترسم صورة المرأة من خلال التركيز على ما تتميز به من خصال خَلقية وخُلقية، ومن خلال ما تتميز به على مستوى وضعيتها الاجتماعية والثقافية وغيرها، وعلى مستوى أدوارها وأنشطتها داخل البيت وخارجه"[4].

ولمكانة المرأة في المجتمع فإنها تمر بمراحل منذ صباها إلى أن تصبح امرأة ناضجة في المجتمع ولديها مكانة بين الأفراد، والذي يهمنا هو مرحلة الشباب الذي يزهوا فيه عمر البنت وتصبح ناضجة وتأمل إلى تكوين أسرة، فتطمح إلى الزواج.

وهذا الموضوع سال عنه الحبر الكثير وتنوعت الدراسات حوله بين الكُتَّاب الجزائريين في المثل الشعبي باختلاف البيئات وتنوع الأمثال، ولكل بيئة أمثالها ودلالة معانيها تختلف من بيئة لأخرى، ولكن محتواها واحد كلها يصب في صالح موضوع الزواج في المثل الشعبي الجزائري.

أولا: تعريف المثل الشعبي:

لقد تعدد مفاهيم المثل الشعبي بين الباحثين، وكلها تصب في قالب واحد مفادها أنه صفوة القول وعصارة الأفكار في نظم الكلام بعبارة موجزة بالسجع يراد بها نسج الحكمة والموعظة، فأحمد أمين يقول:"المثل الشعبي نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه، وجودة الكناية ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب"[5]، أو هو :"جملة أو جملتين تعتمد على السجع، وتستهدف الحكمة والموعظة"[6]، أو هو "تقطير أو تلخيص لقصة أو حكاية، ولا يفهم معنى المثل الشعبي إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل الشعبي عن مضمونها"[7]، ويختصر أحمد زغب بأن "المثل قول وجيز يعبر عن

خلاصة تجربة، مصدره كامل الطبقات الشعبية يتميز بحسن الكتابة وجودة التشبيه له طابع تعليمي ويرقى على لغة التواصل العادي"[8].

ويمكننا أن نوجز كل هذه المفاهيم بأن: المثل الشعبي هو موروث اجتماعي ثقافي يحمل في مضمونه وطياته أبعادا وقيما تربوية، يعتمد على الجرس الموسيقي الذي يحدثه السجع، فيساعده على انتشاره وشيوع بين الأفراد داخل المجتمع في صورة بلاغية تتميز بالاختصار والإيجاز في الأسلوب والدقة في المعنى.

ثانيا: مميزات المثل الشعبي:

_ يهتم المثل الشعبي بالسلوك الفردي أو الجماعي، بحيث يمكن القول بأن المثل الشعبي لا يطرح قضية اجتماعية أو سياسية بقدر ما يطرح موقفا أو يعبر عن ظاهرة ولا يتخذ منها موقفا صريحا.

_ تنوع الأمثال الشعبية واختلافها، بحيث تبدو بعض الأمثال وكأنها تناقض بعضها بعضا، مثل:«خوك خوك ولا يغرك صاحبك»، وقولهم: «خوك من واتاك موش خوك من أمك وباباك»، تبعا لاختلاف الظروف وتعقيدات الحياة الاجتماعية.

_ استخدام اسم الموصول بكثرة، مثل قولهم: «اللي جابه الليل يديه النهار، واللي خانوها يديها تقول تقول بي السحور».

_ قدرة المثال الشعبي على صياغة السلوك الانساني في جمل قصيرة معبرة عن الظواهر الاجتماعية، بطريقة تشبه الألغاز ، ولكنها تؤكد أن المثال الشعبي قد استوعب الدوافع النفسية المعقدة، واستطاع أن يعبر عنها بطريقة جيدة، صالحة لكل الظروف رغم تطور الحياة الاجتماعية، وتغاير ظروف الانسان، لهذا قيل إذا أردت دراسة ثقافة شعب من الشعوب فعليك بدراسة أمثالها[9].

_ لا يعبر المثل عن الواقع بشكل مباشر، وإنما يمثل لها تمثيلا عبر صورة أو قصة ما، لذلك كان كل مثل في جملته إشارة تحيل إلى معنى أبعد[10].

_ المثل خلاصة التجارب ومحصول الخبرة، ويحتوي على معنى يصيب التجربة والفكر في الصميم، وكذلك يتمثل فيه الإيجاز وجمال البلاغة[11]

رابعا: الزواج في المثل الشعبي:

نحاول في هذه الدراسة تحديد منطلقات الأمثال الشعبية حول الزواج بمنطقة الونشريس[12] من أجل وضع قاعدة عامة توضح العادات والتقاليد والأبعاد الدلالية التي يحملها المثل الشعبي في سياق الحديث حول كل ما تعلق بموضوع الزواج ومنطلقاته.

معلوم أن الزواج هو أصل الحياة ووسيلة مهمة في حفظ النوع البشري، ومن أهم العلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد داخل المجتمع، فهو الخلية الأولى التي تتكون منها الأسرة، وقد حدثنا الاسلام عنه منذ نزول القرآن الكريم في قول الله جل جلاله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[13]، وهذا التعارف والتعاون ينسج العلاقة بين الطرفين، وبخاصة بين الرجل والمرأة ليكونا لنا عائلة تخرج للوجود بالزواج الشرعي فتعطي لهما الحياة البذرة الصالحة من الأبناء والحفدة، ولذلك قال الله تعالى:﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ٧٢﴾[14]، ومن هنا عُرِف في المثل الشعبي أن «**الزواج سترة**»، لأنه يحفظ المرء ويعفيه من المنكرات والمحرمات، ولهذا جعله الله سبحانه وتعالى سكن للإنس حتى تستقر النفس فيه ويطمئن القلب مع من يحب ويطمح لتكوين عائلة في جو يسوده المودة والاحترام، قال جل جلاله:﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾[15].

والذي نقصده من الزواج في الأمثال الشعبية هو معالجة تلك الرغبة النفسية المشتركة بين الرجل والمرأة، أو معالجة الحالات النفسية لكلا الطرفين على حد سواء، سواء تعلق بالأمور الايجابية مفادها اتفاقهما في الشعور والرغبات بناء على دوافع نفسية لم يستطع الطرفين كبتها، وقد يحدث العكس فيجد كل طرف نفسه مخالفا غيره وغير مرتاح معه نفسيا، فيؤدي بهما إلى العزوف عن الزواج[16]، ولذلك قيل: «**المحبة ماشي بالسيف**»، لأسباب لا يفصح عنها المثل بطريقة واضحة، بل يوحي إلى ذلك بمعان خفية حاملة معها حكمة مسجوعة تشمل العديد من التأويلات لكن السياق يكشف معناها ويوضح دلالتها.

1. اختيار المرأة للزواج:

قد يسبق الزواج أحيانا علاقة حب بين الرجل والمرأة، وهذه الظاهرة قديمة خلّد قصصها التراث العربي، لأن الحب له عواقب، فقد "سئل حماد الراوية عن الحب ما هو ؟ فقال: الحب شجرة أصلها الفكر وعروقها الذِّكر وأغصانها السَّهر وأوراقها الأسقام وثمرتها المنية، وقال معاذ بن سهل: الحب أصعب ما رُكب وأسْكرُ ما شُربَ وأقطع ما لُقي وأحلى ما اشتهي وأوجع ما بَطَن وأشهى ما عَلن"[17].

وإن المتأمل في بيئة الونشريس يجد أن الحب قبل الزواج هو أمر يكون _عادة_ مخبأ لا يعرف سره إلا المتعاشقين، لأن الحب العلني لا يسمح به بتاتا في هذه البيئة خوفا من العواقب، بتخلي أحد الطرفين عن الآخر ويصبح ضحية أيام حلوة غادرة، أو يتحقق الحلم كما صمم له، ولذلك قيل: أن «**الحب أعمى**»، أي بمعنى الذي يقع في الحب لا يرى في محبوبه إلا الأشياء الجميلة، وبخاصة الذي يهوي الجمال فيصبح عبيدا له، لأن الشخص:«**اللي يحب الزين يصبر لعذابو**»، وقيل في هذا المقام:«**اللي يحب العسل يصبر قريص النحل**»، فالعذاب وقريص النحل كلاهما أذى تصيب الانسان، لكن من أجل كل ما يأتي من جراء محبته الصادقة لعشيقه لابد له من الصبر والتضحية.

ويعتمد شباب اليوم كثيرا على المال والجمال، وتعدّ الصفة الأخيرة الركيزة الأساسية في اختيار الزوجة، لأن المال في الوقت الراهن يكتسب بطرق كثيرة، بينما حُسن اختيار المرأة الجميلة لها دور كبير في هذه البيئة، لأن المجتمع يلوم كثيرا من يختار بنتا غير جميلة، وبخاصة الذي تأخر عن الزواج، لأن «**ذرية الشيب ياكلها الذيب**» فيقال له:«**عام وهو صايم وفي التالي فَطَّر على جَرَانَةَ**»، أي: منذ فترة طويلة وهو ينتظر ويختار وفي الأخير يأتى لبيته بضفدعة لقبح جمالها، أما إذا ظفر ببنت ذات جمال وخلق وأخلاق قالوا عنه: «**تزوج وزاد**» «**وجاب مرا ونص**».

لكن الجمال وحده لا يكفي، بل حتى يرى الانسان الأفعال والأخلاق، فقد تخدع المظاهر أحيانا الرجل ويظهر له أن هذه البنت من الملائكة لخلقها وأخلاقها، وما على الرجل المقبل على الزواج التأكل قبل التقدم للخطبة، لذلك نصحوا قديما بالمثل التالي:«**لا يغرك نوار الدفلى في الواد داير ظلايل، ولا يعجبك زين الطفلة حتى تشوف الفعايل**»، فجمال أزهار نبات الدفلى لا يعني أن له رائحة، بل هو مظهر خادع للأزهار، وهذا معناه أن الجمال في المرأة هو "عرض زائل ونظاراته سرعان ما تزول بتقدم العمر وتجعد الوجه، وانحناء الظهر وتساقط الأسنان، فيكون هذا القياس وقتيا، وقد تتعرض الجميلة لحادث من الحوادث فيذهب بجمالها ويتركها قبيحة المنظر، فالجمال إذا ليس جمال المظهر وإنما هو جمال المخبر، جمال الخلق، لأن الجمال المظهري كثيرا ما يجعل المرأة محط أنظار الآخرين، وقد يكون سببا ودافعا لها في خيانة الزوج"[18]، ومن هنا لابد من التريض في الاختيار والتعقل في اتخاذ القرار، لأن الحب الحقيقي أمره صعب ومآله سكر العقل في هوى محبوبه

وأحيانا أخرى تجد ليس الجمال من يوقع صاحبه في حب محبوبه، بل هناك أمور أخرى تتحكم في النفس البشرية فتجبر خاطره على حب من هوت له نفسه، وهذا حال الذي يحب بنت ليست بجميلة، فقيل عنه ن القدم أن:«**الحب يطيّح في عود يابس**»، ويقصد بالعود اليابس: أي: ندر وانعدم كل شيء جميل في البنت ، ولكن سلطان الحب قد غلب الجمال وسكن قلب المحب.

مرحلة الخطبة:

في السابق كانت _في هذه البيئة_ رؤية البنت المراد خطبتها ضربا من المحال؛ لأن البنات في تلك فترة لا تخرج من البيت اطلاقا ولا تظهر للعيان أي كان، بحكم أن البنات غالبا عندما يكبرن لا يخرجن من بيت الوالدين إلا في المناسبات الرسمية، وفي هذه الأخيرة سواء كان فرح أو قرح ترى الأمهات التي ترغب في تزويج أبنائها هذه البنات، فتختار منهن وتسأل عن من عجبتها ووربما تستشيرها في حينها، وهذا يعني أن الإختيار كان على أساس الوالدين دون علم الولد أو اتخاذ رأيه، غير أن هذه العادة تغيرت وأصبح الابن هو من يختار زوجته، ويبقى على الوالدين الذهاب معه إلى بيت البنت للتقدم إليها لخطبتها بصفة رسمية، وأحيانا يكون الاتفاق قبلي بين الطرفين ويأتي هذا الفعل كإشعار بتخصيص البنت لهذه العائلة، وهنا يأتي دور أم الولد في التحري عن البنت، لأن «**العروسة أخبارها في قلب أمها مدسوسة**»، والنساء هن أعلم بما يجري عن أحوالهن وأعمالهن، وفي العرف العام المعلومة تأتي حتى ولو كانت من مصدر بعيد، فتبدأ الأم بالسؤال عن نشاطها وحيويتها في البيت، وهل تقوم بكل الأشغال، وحال طبيعتها في المعاملة، لأنه إذا كانت البنت لا تتقن شيء لا تحتاجها لابنها، وهذا انطلاقا من المثل الشعبي: «**الطفلة اللي ما تغربل دقيقها غير ترجع على طريقها**».

وفي الغالب نجد أن أم البنت المخطوبة أو أحد قريباتها هي التي تدافع عن ابنتها وتفتخر بها وتظهر محاسنها، حتى قيل: «**آشكون يشكر العروسة أمها ولا خالتها**»، وتبدأ بالتفاصيل في خصالها وطبائعها ونشاطها في البيت وتميزها بالطبع وأشغال البيت، وتختصر الحديث أن «**كل اصبع بصنعة**»، وأحيانا تبالغ الأم بالمدح حتى تقنع عائلة الخطيب فتقول: «**أنا لوزة وديتوا جوزة**»، ولكن طبيعة أم البنت ومعدنها هو الذي يُزرع في ابنتها، ولذلك قيل: «**اقلب القدرة على فمها تخرج البنت لأمها**»، فطبيعة الأم تنعكس حتما على ابنتها نتيجة ملازمتها والتعلم من مدرستها الكثير من الأمور، وهنا أشار المثل الشعبي قائلا:«**خوذ لبنات على لمات والعلم على السادات**»

ولا يكون أهل الخطيب صامتين عن ذكر خصال ابنهما، بل هم كذلك يمدحوا فيه طبائعه وخلقه وأخلاقه _وإن كانوا غير صادقين في كلامهم_؛ لأن الخَطَّابْ في العرف العام «**يجي رطّاب**».

وقد يحضر أحيانا الكثير من أفراد الأقارب التي يعرف كلتا العائلتين عز المعرفة، فيرى المدح الكثير والمبالغ فيه جول البنت والولد المخوطبين، فلا يقتنعوا بما سمعوا بل تسمعهم يقولون: «**شحال يكذبوا النهار يخطبوا**»، أي: أن الكذب وقع ويقع كثيرا من أجل تشويق الآخر، حتى يتم القبول والرضا.

ويحبذ الكثير من العائلات الجزائرية ومنطقة الونشريس بخاصة زواج الأقارب من أجل الهروب من الهفوات والمغالطات في تزويج البنات، فيختارون بنات العائلة والأقارب حتى لا تخرج الأسرار من البيوت ولا تذهب الأملاك لغير العائلة، ولهذا قيل: «**خوذ الطريق الصحيحة ولو دارت وخوذ بنت العم ولو بارت**»، ففي هذا المثل تكررت كلمة «**خوذ**» للدلالة قوة التمسك بالمعلوم أفضل من التشبث بالمجهول، فهي تشير إلى دلالتين: ، فخذ الأولى: اتبع الطريق المعلوم حتى تصل إلى هدفك. وخذ الثانية : بمعنى تزويج أي خذها إلى منزلك، وقد تتحد اللفظتان في دلالة واحدة، وهي تحقيق الطمأنينة للرجل، إذا تزوج بابنة عمه ولو كانت كبيرة في السن والرغبة فيها قلت، وكذلك حال من اتبع طريقا معلوما، فإنه سوف يصل إلى غايته ويطمئن[19].

وهذا لا يعني أن كامل أفراد المجتمع يحبذ الزواج من العائلة والأقارب، بل هناك من ينكر هذا الفعل ولا يقبل به، لأن زواج الأقارب في اعتقادهم يجلب المشاكل والعيوب، انطلاقا من المثل الشعبي أن زواج «**الأقراب عقارب**»، فاختلاط نسب العائلة يوقع الشحناء والبغضاء لذلك يقول الذي يفكر في الزواج أن:«**دمي هو همي**»، وعليه فينصح بالابتعاد عنهم والزواج من مكان بعيد، حتى لا تحدث المشاكل وحفاظا على الحسب والنسب، بقول المثل الشعبي:«**اتزوج المرا البعيدة واحرث الارض القريبة**»، وفيها تكون العلاقة وطيدة وطيبة مع نسبه نتيجة البُعد عنهم وقربه من حرث أرضه لكسب منتوج خيراتها، وقد جاء المثل الشعبي بمنطلق التشابه بين المرأة والأرض في النتيجة والعطاء والاختلاف في الصفات، فكلاهما ينتج، فالمرأة تلِّد والأرض تثمر، وإن دلالة البُعد في المثل الشعبي توحي إلى ميزتين: الأولى: الراحة من المشاكل التي يسببها قرب منزل عائلة الزوجة _أحيانا_ من عائلة الزوج، نتيجة الزيارة المتكررة والكثيرة لبيتها في كل وقت وما يأتي معه من تناقل الأخبار والقيل والقال، وهذا ما ينشب خلافات بين الزوجين، ولذلك قالوا: «**بن عمَّك هو همَّك**»، واالبُعد الآخر: هو بُعد نسب الزوجة عن نسب الزوج، فيفضل الابتعاد عن الأقارب، خوفا من العواقب الوخيمة التي قد تحصل أحيانا فتفرق بين الزوجين

والعائلة معا، ويصبح بين العائلة الواحدة صدع كبير، ولذلك عدّ «**الأقارب كالعقارب**»، وكذلك خوفا من النسل وما يأتي معه من تشوهات خلقية نتيجة التقارب العائلي، وقد نقل عبد الحميد خراز قول النبي صلى الله عليه وسلم كدليل ما يثبت في الإبتعاد عن زواج الأقارب من قوله:"لا تنكحوا القرابة، فإن الوَلَدَ يخلق ضاويا"[20]، وقد نصح عبد الرحمان مجدوب بقوله المأثور بالإبتعاد عن زواج الأقارب، فقال:"**نوصِّيك يا حارث الدُّوم، والدُّوم كثروا نفاعه، والدَّم ما ينفع الدَّم، يا ويح من خانته ذراعه**"[21]، أما النصح بحرث الأرض القريبة من سكن الزوج حتى يستطيع خدمتها ويقوم أشغالها متى عقد النيَّة لذلك.

ونجد الكثير من الآباء يخافون اليوم على بناتهم بخلاف أولادهم نتيجة تغير الظروف والأحوال، فاصبح كل أب يفكر في ابنته ليخصصها لشاب معين حتى يكون لها فارس أحلامها، نتيجة ميزة رآها في عائلته من أصالتهم وطيبتهم أو لمكانة هذا الشاب في المجتمع ماديا أو أخلاقيا، فيعرض على والديه ابنته لهذا الشاب حتى يتزوجها، وهذا الأمر ليس بجديد عن البيئة وإنما موجود منذ زمن طويل، لكن أصبح من النوادر، نتيجة الخوف من الرد ويعتبرها بعضهم أنها طريقة وضيعة، وهذا لا يعني أنها طريقة منعدمة بل هي موجودة عند بعض العائلات في الخطبة، وبخاصة عند الأمهات التي ترى البنت في المناسبات وتقترح الفكرة على والدتها ويتم الاتفاق فيما بعد بين الوالدين، ولذلك نصح المثل الشعبي في قولهم:«**أخطب لبنتك وما تخطبش لبنك**»، وقد يرى بعضهم أن هذه الطريقة مخالفة لعاداتهم، "فالعادة أن تخطب المرأة للرجل. والمراد من هذا المثل اهتم باختيار الزوج لابنتك طلبا لراحتها، فهي أولى بعنايتك من ابنك؛ لان أمر زوجته سيكون بيده متى شاء طلقها بخلاف البنت"[22].

وإن وجود الأم كثيرا في هذا الموضوع دليل على اهتمامها فيمن يأتي مكانها ليحافظ على البيت ويقوم أشغاله، حتى تكون هذه البنت سندا لعائلته وركيزة في غيابها، لكن الكثير من البنات يخافون من امهات الأولاد المقبلين على الزواج بهم، لأنهم يعتقدون أن العجوز ستكون لهم عقبة في حياتهم وتصنع لهم المشاكل، انطلاقاا من المثل الشعبي: «**إذا تفاهمت العجوز والكنَّة يدخل إبليس للجنة**»، وهذا دليل على استحالة التأقلم معها، فيفرض الكثير من هُنَّ شرط السكن منفرد عن العائلة، ولكن هذا ليس بمعيار يقاس عليه، فالمرأة الصالحة هي الأصلح والأنفع لخدمة والديه.

العرس وتكاليفه:

إن نعمة الزواج فيها بركة كثيرة ورزق عظيم للمتزوجين، لكن المقبل عليه في وقتنا الحالي لابد له من عدّ العدَّة وتجهيز نفسه من كل الجوانب، لأن أموره مكلفة ومتطلباته تحتاج المال الكثير والجهد الوفير، لذلك قيل: «**زواج ليلة تدبيروا عام**»،

وقد يصادف المرء أحيانا حالات من الزواج فيجد المرأة تشترط وتطلب أمور مكلفة فوق طاقة العريس، فتجد منهم من يتحجج ويصطنع الأسباب من أجل الابتعاد عن هذه العائلة التي وافقت ابنتها في الشروط من أمور المهر ومتطلبات الزواج، حتى ينجو بجلده دون المساس بهم أو احساسهم بالرفض مباشرة، لأنه قد يعرف أحيانا طبيعتهم ومستوى معيشتهم، فينزاح عنهم مباشرة انطلاقا من القاعدة الشعبية أن: «**الزوخ ما يبني خيام**»،

فالبركة تكمن في العيش البسيط والطلب المعقول، بينما التباهي من أجل الظهور والشهرة لجلب انتباه الآخرين فهذا غير محبذ بتاتا، لأن ناس زمان قالوا أن:«**الزوخ والتبرنوخ والعشا قرنينة**»، ومعناه الافتخار المتزايد عن حده لكن الفقر قد أخذ نصيبا في معيشتهم، لأن القرنينة هي نبتة الفقراء كانوا يتناولونها في القديم من لا حاجة لقوت يومهم فيجدونها سبيلا للعشاء، وأحيانا أخرى قد تجد الرجل بخيلا على أهله، لكن في موضوع الزواج يهون عليه كل شيء، ويصبح المال في يده لا معنى له من أجل ارضاء من هواه قلبه وشغف فؤاده ليفرح أم عياله، فيلبي كل الطالبات والرغبات مهما غلت وكلّفت، حتى قالوا سابقا: «**غالي وطلب الرخيس**»، وهذا دلالة على مكانة المرأة التي احتلت قلب هذا الرجل، فأصبح عبيدا لهواها وكل متطلباتها مهما كلفه من المال، لأن المال سائد في الاعتقاد أنه رزق يعوضه الله، بينما الشخص المحبوب يبقى فريد من نوعه، فقد سكن القلب والعقل، لذلك قيل:«**خليفتي على ربي**»، أي الله جل جلاله هو الذي يصنع الأسباب في ارجاع المال، والزواج هو أحد الأسباب لذلك، لكن فيه من يجعل أن الزواج هو أحد الأسباب في تلف المال، حتى قالوا:«**اللي يعرس يتهرس**»، أي: لا يبقى من ماله شيء، وقال آخر:«**إذا عينك في المال يخلاص عرس والا ابني بيه**»، أي: اذا أحببت أن تفني مالك فخصصه للزواج أو للبناء، فكلاهما من أحد أسباب فناء المال ونهب الجيوب.

وبعد العزم على الزواج واختيار الفرد شريكة حياته يقيم المتزوج وليمة يستدعي فيها أقاربه وأهله وأصحابه ومحبيه وحتى من يسكن بجواره من غيره إكراما لهم وجعلها صدقة جارية، فيوفر لهم كل ما لذّ وطاب من مأكل ومشرب، ولكن تجد منهم من لا يشفق على مصاريفه بل يحاول المزيد من الأمور، لأنهم يسيرون بقاعدة شعبية أن «**المتزوج ما هو قليل**»، أي: بمعنى: أنه كاف ماليا وماديا.

وبعد الوليمة في اليوم الموالي يخصص نهار لجلب العروس لبيت زوجها، فيختار العريس السيارة الفخمة من أجل تزيينها وتخصصيها للعروسة، أما بقية السيارات يركب فيها أهل العريس، وبوصولهم إلى بيت العروسة يستقبلونهم بالأفراح والحلويات والزغاريد، لكن الشيء الذي يأخرهم أحيانا هي العروسة نتيجة تأخرها من الخروج من بيت والديها، لحزنها من البعد عنهم والخوف من العائلة التي تستقبلها، لأنها جديدة عنهم وعن عاداتهم، ولذلك قالوا:«**واش يخرج العروسة من دار بوها**»، وبعد الفرحة العارمة للأهل والأقارب بالوافد الجديد تقام ليلة غناء للأمهات بالدف والرقص حتى تجلب انتباه الحاضرين ليجلسوا بجوارهم للتصفيق والاستمتاع، وهنا يترك الراحة للمتزوجين في بيتهما الجديد، وفي اليوم الموالي يأتي أهل العروسة «**بالجفنة أو القصعة**» وهي عبارة عن طعام باللحم لتكرم بها أهل العريس على مشقة تعبهم وفرحة بابنتهم بدخولها العائلة الزوجية.

وفي خاتمة هذا البحث البسيط نقول: إن الأمثال الشعبية المتعلقة بالزواج متداولة كثيرا بين أفراد المجتمع الونشريسي والجزائري بعامة، نتيجة لما تحمله من عصارة التجارب والنصائح الجليلة التي ترادوت بين الأجيال المتعاقبة، ولا تزال إلى يومنا هذا تتراود بالمعاملة اليومية بإعتبارها قاعدة أساسية يسير عليها الشاب المقبل على

مشروع الزواج، لأنهم يعدونها من الحكم والتجارب التي مر بها الأوائل فأصبح الأواخر يستفيدون منها حتى تكون لهم سند في الحياة الزوجية السعيدة.

هوامش البحث:

[1] سمية فالق: البنية والإيقاع في الأمثال الشعبية، مجلة المعنى، المركز الجامعي خنشلة الجزائر، ع1، جوان 2008م، ص130.

[2] التلي الشيخ: منطلقات في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990م، ص08.

[3] التلي الشيخ: منطلقات في الأدب الشعبي الجزائري، ص157.

[4] لخضر حليتيم: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة، الجزائر، ط2، 2011م، ص121.

[5] أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة مصر ، دط،1953 ، ص61.

[6] إبراهيم أبو سنة: فلسفة المثل الشعبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة مصر، دط، 1986م، ص26.

[7] التلي الشيخ: منطلقات في الأدب الشعبي الجزائري، ص19.

[8] أحمد زغب: الأدب الشعبي بين الدرس والتطبيق، مطبعة مزاور، الوادي الجزائر، ط1، 2008م، ص88.

[9] التلي الشيخ: منطلقات في الأدب الشعبي الجزائري، ص20_21.

[10] علي بن عبد العزيز عدلاوي: الأمثال الشعبية ضوابط وأصول منطقة الجلفة نموذجا، دار الأوراسية، الجلفة الجزائر، ط1، 2010م، ص45.

[11] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي الجزائري، ص174.

[12] الونشريس: نسبة إلى جبل الونشريس المتواجد بولاية تيسمسيلت.

[13] سورة الحجرات، الآية13.

[14] سورة النحل، الآية 72.

[15] سورة الروم، الآية21.

[16] ينظر: التلي الشيخ: منطلقات في الأدب الشعبي الجزائري، ص161.

[17] أحمد تيمور بك: الحب عند العرب، دار المعارف، سوسة تونس، دط، دت، ص13.

[18] عبد الحميد خزار: فلسفة الزواج وبناء الأسرة في الإسلام، الجزائر، ط2، 1987م، ص76.

[19] ينظر: لخضر حليتيم: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، ص203.

[20] ينظر: عبد الحميد خراز: فلسفة الزواج وبناء الأسرة في الإسلام، الجزائر، ط2، 1987م، ص87_88.

[21] عبد الرحمان مجدوب: ديوانه، دار إحياء العلوم، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت، ص06.

[22] أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية مرتبة ومشروحة على الحرف الأول من المثل، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ط2، 1956م، ص16.